محاولات غربية لتدجين الثقافة الإسلامية

م.قصي رياض كنعان*

تأريخ التقديم: ٢٠١٢/١٠/٣٠ تأريخ القبول: ٢٠١٢/١٢/٥

مقدمة:

يمكن القول أن التأثير المتبادل بين الثقافات في عالمنا اليوم بلغ حداً غير مسبوق وذلك بفعل ثورة الاتصال التي نعيشها والأمر يصدق على التأثير المتبادل بين الثقافات العربية والثقافات الغربية الأجنبية ولقد عرف تاريخ الإنسان هذه الظاهرة منذ كان الاجتماع الإنساني فالله خلق البشر شعوبا وقبائل متباينين يعيشون في مواطن تختلف في جغرافيتها ومختلفين أيضا في الألسن والألوان ليتعارفوا وليؤثر بعضهم في بعض.

والثقافة كما نعلم أنها تقويم العقل وتعديل المعوج بالعلوم التي تدرس والفنون التي تتذوق والتجارب المتعددة التي تكتسب من الحياة العامة وبالتالي فالثقافة تطلق على ما يمارسه الناس من أنواع السلوك وأنواع الفنون وإما على مجموع ما لدى الشعب من أنظمة اجتماعية وعادات وفنون، من هنا ومن هذا المدى الواسع لفهم الثقافة بدأ التخطيط ووضعت الوسائل للسيطرة على الفكر والتراث الإسلامي والعقل الشرقي وظهور متناقضات الغرب لجعل هذا الفكر محايدا ومن ثم يكون غريبا وأخيرا حائرا يبحث عن الملجأ الذي يأوي إليه.

وإنَّ الحديث عن محاولات التدجين للثقافة الإسلامية والصراع مع الثقافة الغربية لا يعني غياب وتناسي مسالة الحوار والتفاعل الايجابي والأخذ والعطاء

* قسم علم الاجتماع / كلية الآداب/ جامعة الموصل.

لكن بالحفاظ على الهوية الثقافية والروح الحقيقية للمنهجية الإسلامية على مستوى المنظومة الفكرية والسلوكية.

المبحث الأول: الإطار النظري للبحث

أولا: أهمية البحث... تتوضح أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

١. أهمية موضوع الاستشراق بالنسبة للثقافة الإسلامية ودور الغرب في التأثير على هذا المفهوم فكرا وسلوكا.
٢. ظهور التأثير الفكري والسلوكي من قبل الغرب على بعض المجتمعات الإسلامية وهذا يحتم وجود آلية للتقييم والموازنة.
٣. تبني الحضارة الغربية لبعض المؤسسات التعليمية والثقافية وكذلك لبعض أجزاء المنظومة الفكرية حيث تعمل في بعض الأحيان على إظهار الإسلام بما هو ليس على الحقيقة وطمس معالمه الصحيحة.

ثانيا: أهداف البحث... يهدف البحث إلى ...

١. التعرف على معنى التدجين الغربي للثقافة الإسلامية وكيف تظهر معالمه.
٢. الكشف عن تلك المحاولات من خلال نظرة انثربولوجية ثقافية موضحاً الجانب الايجابي والسلبي من خلال التقييم الموضوعي.
٣. تحديد بعض الأساليب والأبواب التي دخل منها الغرب لممارسة هذه المحاولات.
٤. توجيه المجتمع العربي إلى الاهتمام بالمنظومة القيمية والمعرفية ضمن الإطار الصحيح للمنهجية الإسلامية .

ثالثاً: مفاهيم البحث.

أولا: تعريف الغرب

لغة الغرب والمغرب بمعنى واحد خلاف الشرق وهو المغرب، وغرب القوم ذهبوا في المغرب واغربوا أي أتو من الغرب (١).

والغرب في المنظور الأكاديمي الخاص ببحثنا نقصد بـه المجتمعـات الغربية التي تقع غرب الكرة الأرضية وهي المجتمعات التـي تـسير وفـق منهج غربي ربما يكون رأسمالي أو غيره وله ثقافة وقيم ومنظومـة فكريـة وسياسية وغيرها والمجتمعات الغربية ربما تكون أوروبيـة أو أمريكيـة أو روسية أو غيرها.

ثانيا: تعريف التدجين

لغة الفعل دجن بلا زيادة التاء ظل الغيم في اليوم المطير والدجن إلباس الغيم الأرض وقيل هو إلباسه أقطار السماء والجمع ادجان ودجون ودجـان وقيل أدجن يومنا فهو تدجين ومدجن إذا أضب فاظلم (٢).

ومصطلح تدجين في بحثنا هذا نقصد به هو محاولة الغـرب إظهـار النموذج الثقافي الإسلامي بصورة يخطط لها هو من خـلال دمجـه للثقافـة الإسلامية والثقافة الغربية والعمل على تغيير أو تعديل بعض المفاهيم والقـيم والسلوكيات أو ما وراءها من تكوينات أو منهج أو غيره.

ثالثاً: تعريف الثقافة:

الثقافة مفهوم ديناميكي يراد منه تخصيب للمدارك بالإطلاع واستثمار للمعرفة بالتخمين والتدبر والسعي وهي حصيلة معلومات متنوعة ومتراكمـة وأساليب في التفكير تتسع وتضيق بحكم ارتباطها بقضايا الإنسان عموما وبما يتصل بالذاتية ومجالات الهوية خصوصا فالمثقف غير العـالم المتخـصص

(١) ابن منظور – جمال الدين محمد الأنصاري ، لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للنشر ، القاهرة ،ج٦٣٠،١ه-٧١١ه،ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) ابن منظور ، مصدر سابق ،ج١٩،ص٣

وإنما هو الشخص الذي يكون واعيا عن طريق حسه الاجتماعي بإنسانيته سواء تعلق الأمر بعصره أو خارجه وهذا هو الجانب الإنساني في الثقافة [١].

ويعرفها اشاس منتاجو montago بأنها استجابة الإنسان لإشباع حاجاته فهي الوسائل التي يلجا إليها الإنسان لإشباع تلك الحاجات ، وفي رأي توماس فالثقافة تتعلق بالنواحي الروحية والقيم الجمالية والفنون، أما ماكيفر وأدوم odum فالثقافة هي مجموع ما ينتجه المجتمع من نظم وعادات وتقاليد واختراعات [٢] .

رابعا : تعريف الثقافة الإسلامية

وهي العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيه، وهي الثقافة النابعة من المصدر الرباني والتي تذكر بالأصل الموحد لسائر البشر وبان التفاضل يكون بالتقوى، ومن عناصرها الفكر والعلم والإبداع حيث يتطابقون مع الفطرة الإنسانية وتطلعات الإنسان، وهي ثقاة ربانية المصدر والمنبع في أهدافها وقواعدها واتجاهاتها الإنسانية التي تسعى إلى توحيد العباد جميعا ونقلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وبهذا تتحقق أسمى غايات هذه الثقافة كونها عالمية التوجه كما في قوله جل وعلا ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) [٣].

والثقافة الإسلامية مرتبطة بضوابط أخلاقية وروحية وتنطلق من البيئة الإسلامية التي تقتضي أن يحكم الإنسان ثقافته وسلوكه في نطاق العقيدة التي

---

(١) دنيس كوش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة منير السعيداني ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨،ص٤٢.

(٢) المصدر السابق نفسه ،ص٢٠١.

(٣) د. خليل محمد الخالدي ، الثقافة الإسلامية والثقافات الفرعية وآفاق التعايش ، بحث منشور ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٨،ص٨٥.

يؤمن بها أي انه على المسلم أن يكيف ثقافته وسلوكه بجميع عناصرها مع تعاليم الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها حتى لا يحدث تناقض في ذهنه بين العقل والشرع أو بين العلم والدين[١] .

والثقافة الإسلامية تتخذ من الإسلام رداءا لها وينسجم مفهومها مع المنهج الإسلامي وهي التعبير عن مدلول التقدم والرقي في مختلف جوانب الحياة البشرية ومجالاتها وإبراز ما يبدعه الإنسان من خلال تفاعلاته مع الوجود المحيط به والذي سخره الله له ولترشيد عقيدته وقيمه الإنسانية[٢].

أما عن طبيعة الثقافة المنبثقة عنه، فقد علمنا أنها ثقافة شاملة متكاملة، وأقرب الثقافات إلى البقاء والصمود ما كان كذلك. أما عن الحاجة إلى هذه الثقافة فنحن نعتقد أنها متجددة على الدوام، وذلك في نطاق العرب والمسلمين والإنسانية جمعاء، فالعرب والمسلمون دون الإسلام مفرقون ضائعون فاقدون لكل مقومات الحياة، وهم بالإسلام أمة واحدة وكيان قوي واثق من نفسه شاعر بعظم الرسالة التي يحملها وأفضليتها، وقد يصبحون القوة الأولى في العالم إذا أدركوا قيمة رسالتهم. ولا تقل حاجة الإنسانية للإسلام عن حاجة العرب والمسلمين، لأن الحضارة الغربية تخلت عن المثل والقيم وأصبحت الآلة وسيلة إضرار وانقلب الإنسان إلى وحش كبير همه نفسه دون التفكير بمصلحة الآخرين وبهذا تبتعد الثقافة عن معناها الحقيقي.

المبحث الثاني: الموروث الإسلامي في الثقافة

يعتبر الموروث مظهراً من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي للأمة خلال تاريخها الطويل كما يعتبر أفضل تعبير عن الهوية الثقافية للأمة وذاتيتها الثقافية

(١) مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء ، أكاديمية المملكة المغربية ،مكناس ،١٩٩٣،ص٩.

(٢) مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء ، مصدر سابق ،ص١١.

، ويشمل الموروث أشكالا متعددة ثقافية وفنية وفكرية متوارثة من ماضي الأمة القريب والبعيد وهو عطاء من صنع الإنسان يختلف باختلاف الأزمنة والأماكن ، وهو في مفهومه العام يخص الموروث المادي وما يشمله من مبان أثرية ويشمل أيضا الموروث الفكري النابع من أعمال ونتاج العلماء والكتاب والمفكرين والمبدعين كل في عصره [١].

وإنّ هناك موروثا اجتماعيا يتمثل في العادات والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع ومدى تأثيرها في أفراده ولذلك كانت له علاقة وطيدة بالممارسات الثقافية ونظرتها إلى المستقبل والربط بين حاضر الأمة وبين ماضيها.

تميزت الثقافة الإسلامية بخصائص ذاتية جعلت منها ثقافة إنسانية متطلعة إلى أفق خلقي رفيع المستوى يعطي للحضارة امتدادها الإنساني ويرتقي بمستوى الطموح البشري لكي يكون طموحا بانيا معبرا عن كرامة الإنسان وسمو وعيه، والموروث الإسلامي في الثقافة بدا واستمد وجوده من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة وهذه المصدرية المتميزة أعطت للثقافة الإسلامية أبعادا أخلاقيا فهي ليست ثقافة وضعية صاغ معالمها شعب متفوق منتصر اختلطت عليه المعايير فجعل من نفسه وصيا على الشعوب الأخرى، وهي ليست ثقافة فردية عكف على وضع معالمها مفكر أو مصلح، أنها نابعة عن تراكم ارثي وإسلامي عبر عصور الازدهار لأنها استطاعت أن تستفيد من التراث الحضاري والإنساني الذي أنجبته حضارات سابقة وهذه الاستفادة لم تكن مجرد نقل لمعارف وترجمة لمؤلفات وإنما كانت وعيا حضاريا ناتجا عن تفوق في مجال العلم والمعرفة[٢]، وهذا الوعي الحضاري أضاف إلى الثقافة أبعادا أخرى وأثرى

---

(١) مجموعة باحثين في مؤتمر القمة الإسلامي ، الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ١٩٩٧،ص٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه ص٤٦.

تلك الثقافة بآراء وإبداعات وإضافات ما زالت حتى اليوم تذكر بإعجاب وتقـدير واكبر دليل على عظمة الثقافة الإسلامية وارتباطها بالموروث الحـضاري أنهـا استطاعت إن تكون لدى الشعوب الإسلامية المتباعدة جغرافيا والمتباينة ثقافيـا، استطاعت أن تمون ثقافة إسلامية موحدة غالبة واضحة فـي الـسلوك البـشري والقيم الأخلاقية والتقاليد الاجتماعية والعادات السائدة وهذا دليل واضـح علـى عظمة خصوصيات الثقافة الإسلامية من جهة وامتدادها للموروث الإسلامي الذي يحترم الإنسان أيا كان من جهة أخرى [١]، بالإضافة إلـى عمـق تأثيرهـا فـي الشعوب الإسلامية حتى أصبحت ثقافة الإسلام ثقافة أصيلة عميقة الجذور تطارد الانحراف في العقائد والفساد في السلوك والمظالم في المجتمع والطغيان النـاتج عن سيطرة القوي على الضعيف.

وقد اتسمت الثقافة الإسلامية بسمات استمدتها من القاعدة العريضة التـي شملها الموروث الإسلامي وهي[٢]:

١. إلهية المصدر وتبرز من خلال ظاهرة الوحي الذي حدد الإطار العـام للثقافـة الإسلامية وجعل منها ثقافة انتماء إلى عقيدة التوحيد وإيمان بالله وبما جاء مـن عند الله ومن هذا المنطلق تعتبر الثقافة الإسلامية ثقافة منفتحة علـى الأديـان السماوية تعانقها وتؤكد رسالتها وتجدد تعاليمها وقيمها الإيمانيـة ولا تـرفض منها ما دخله الزيف والتحريف والمصدرية الإلهيـة تحـدد إطـار الحركـة الإنسانية ولا تلغيها وتعترف بدور العقل البشري فـي التجديـد والتفـسير ولا تتجاهل أثره في الاغتناء والإثراء والعطاء.

(١) محمد عمارة ، الانتماء الثقافي ، ضمن سلسلة التنوير الإسلامي ،دار النهضة للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٧،ص٣٩.

(٢) الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء ،مصدر سابق ص٢٩-٣٠

٢.إنسانية الأهداف والغايات وتبرز هذه الخاصية من خلال دراسة مقاصد الشريعة وتهدف إلى حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسل وتتمثل مهمة الشريعة في إرشاد الناس عن طريق التربية والتهذيب إلى مافيه صلاح الإنسان واستقامة أمره وامن الجماعة واستقرارها .وإذا تتبعنا الموروث الإسلامي في الثقافة لوجدنا إن هذه الثقافة ليست ثقافة عنصرية ولا ثقافة امة متميزة بانتماء نسبي أو عرقي أو لغوي وإنما هي ثقافة انتماء إلى عقيدة رسم الوحي الإلهي معالمها وحدد أسسها وأركانها ودعائمها ولا تميز بين امة وأخرى من حيث اللون أو اللغة أو القومية فالكل سواء وبسبب هذا التكوين المتميز فقد جسدت هذه الثقافة تعاون البشرية في سبيل ثقافة متقاربة مؤهلة كل التأهيل لخلق جسور من التكامل مع الثقافات الأخرى .

ولابد القول أن التراث الإسلامي كحصيلة ما أبدعه المسلمون من علوم وفنون وما خلفوه من مآثر تاريخية وعمرانية وما لا يزالوا يمارسونه من فنون وصناعات يشكل بدوره مصدرا للثقافة الإسلامية بل إن معظمه يعتبر جزءا هاما من التراث البشري الذي لا يمكن إغفاله أو التنكر له.

المبحث الثالث: الصراع الحضاري الثقافي بين الغرب والإسلام

ما زال الصراع الحضاري بين الشرق والغرب مستمرا بالرغم من تطوره التقني الكبير فهو يرى الشرق قوة عارمة قوية تقف أمام طموحه الحضاري ورغبته في السيطرة الثقافية والهيمنة الفكرية لذلك يتجاهل حضارتنا وفضلها عليه محاولا طمسها ونسيانها ولسنا ما نخشى الفكر الوافد إذا كان سببا في تطور الحياة وتقدمها ونشر الحضارة ما نخشاه هو تلك الخطط التي تطمس ثقافتنا وتدمر كيانا الحضاري.

وبالرغم من قدرة الغرب على الحرب السياسية وانتصاره بالمخترعات الجديدة وبالرغم من انه سيطر على كثير من الأقطار العربية فلم تنثن المقاومة الفكرية والسياسية والتحدي الثقافي والحضاري في العقل العربي فاضطر الغرب

إلى الدخول بصيغ متعددة كالاستعمار وتغريب القيم والعـادات وتغييـر اللغـة وإدخال المفاهيم الغربية في المجتمعات العربية[١] ، غاياته امتصاص هذا التحدي وكسر حيويته الدافعة ثم بذل الجهد بإبعاد العربي عن التاريخ الإسلامي بالعنايـة والتركيز على التاريخ القديم والحضارات القديمة متجـاهلا حـضارة الإسـلام والعرب وحاول القضاء على الاعتزاز الروحي للإنسان العربي والكيان الفكـري له وقطع الصلة بالتراث لأنه متى انفصم عن تراثـه أحـس بالغربـة والحيـرة والقلق، وعندما يعيش في الفراغ الروحي والقلق الحضاري يسهل على الغـرب الاستيلاء على فكره وتوجيهه الوجهة التي يريدها ومتى تاه فكره ضل في روحه ويكون إنسان بلا قاعدة روحية فتسيطر عليه اللامبالاة ويندفع نحو اللهو والعبث والاهتمام بالمظاهر البراقة والطقوس الظاهرية والعدمية القاتلـة دون أن يـسبر غور الفكر الغربي ويعرف شيئا عن حضارته المزدهرة وتراثه الأصيل .

لقد اخذ الصراع فيما بعد منحن ايدولوجيا حيث كان يتميز بالاسـتمرارية والشمول وعندما انتشر الإسلام على مساحات واسعة وأسـس حـضارة جديـدة وجعل كل الحضارات في ظله بعد أن دخل أصحابها الإسلام بدا من هنا عـداء الغرب بل بدا الصراع بي الإسلام كثقافة وحضارة مع الغرب عندما تسلسل هـز الصراع بدا بالحملات الصليبية المتتالية ومن ثم الالتفاف حول العالم من الغـرب بعد سقوط غرناطة وترك العرب للخرائط في الأندلس وبعـد اكتـشاف القـارة الأمريكية بدا النزوح إلى الأراضي غربا وشمالا وجنوبـا وتـم القـضاء علـى السكان الأصليين عرقا وثقافة ولبناء العالم الجديد أصبح الغرب يتحرك بجميـع الاتجاهات أفريقيا والهند والوطن العربي عبـر حمـلات التبـشير والاسـتعمار والتغريب مشاركة بذلك جميع القوى الغربية لتضع الحضارة الإسلامية في آسـيا

(١) صامويل هانتغتون ، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها ، مركز الدراسات الإستراتيجية ، بيروت ، ٢٠٠٠،ص١٠٠.

وغيرها بين المطرقة والسندان[١]، وكان من اثار هذا النمـوذج وهـذا التحـرك ظهور صراع الحضارات وبالذات العربية الإسلامية والغربية محاولـة القـضاء على الثقافات الوطنية واللغات المحلية باسم التحديث والتمدن والتفاعل الثقـافي، وقد تقدم الغرب بنموذج الانقطاع بين القديم والجديد بين التراث والحداثـة مـع كثير من البلدان ومنها الإسلامية صاحبة الثقافة الإسلامية وقد أدى هذا النمـوذج الغربي للصراع إلى خلق عقدة العظمة لدى الغرب فهو حضارة العقـل والعلـم والحرية والعدالة والتقدم والعمران التاريخ تاريخه، والقيم قيمه، والثورة ثورتـه، والحاضر حاضره، والمستقبل مستقبله واللغات لغته، والثقافة ثقافته، وخلق عقدة التبعية والنقص لدى الشعوب الأخرى ومنها العربية خاصة التي استسلمت لهـذا الواقع المرير متناسية ارثها ومنهجها وحضارتها [٢].

المبحث الرابع: المحاولات الغربية لتدجين الثقافة الإسلامية

تنوعت المحاولات التي تبعها الغرب من اجل تدجين الثقافـة الإسـلامية وإظهارها بالمظهر الذي اختاره هو والـذي يمكـن أن يغيـب حقيقـة المـنهج الإسلامي في رسم معالم الثقافة الإسلامية ومن هذه المحاولات:

١. تغريب اللغة

كانت أول محاولات التدجين نشر اللغة الأجنبية في أوطاننـا بـصورة غير منطقية لان اللغة الغربية تحمل ثقافته وحضارته ومتى أحب العربي لغة الأجنبي فسوف يرتبط به ويزداد الإعجاب بالأدب وبالتالي بالثقافة والحضارة وقد ظهرت هذه المحاولة منذ فترة من الزمن فتعلم أبناء العـراق وفلـسطين والسودان الإنجليزية وأبناء الشام وشمالي أفريقيا الفرنسية وطرابلس وبرقـة

---

(١) صامويل هانتغتون ، الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها ، مصدر سابق ،ص١٠٥-١٠٦.

(٢) خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات ،مصدر سابق ،ص٦٤.

وفزان الإيطالية، من جهة أخرى فقد دخل التدجين اللغوي مع الخدم الذين غزو العالم العربي وبدا قسم من العرب يكسرون في لغتهم عندما يتخاطبون مع الخدم.

إن وجود لغة أخرى خلق ثنائية في التعليم وتمزقا ثقافيا أدى إلى وجود ديني وتعليم مدني وأصبحت هذه الثنائية تضاهي الثقافة العربية والإسلامية وتحول تعلم اللغة من الوجهة الايجابية له في التخاطب والحوار مع الآخر إلى نقمة وصراع بين ثقافتين.

٢. الإعلام الغربي والتشويه تجاه الثقافة الإسلامية

تميز الإعلام خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين بما يعرف بالقرية الكونية بحيث أن جميع سكان الكرة الأرضية يعرفون الأخبار أيا كانوا وأصبحت المؤسسات الإعلامية تنافس البيت والمدرسة وهما أهم أدوات التنشئة وبزيادة عدد القنوات الإعلامية والتأكد من تأدية وظائفها الخاصة بالتثقيف والإقناع والإعلام والإبلاغ فلا بد من أن نأخذ بعين الاعتبار نظرية الاختيار الذاتي أي أن المشاهد أو المستمع أو القارئ تبعا لوسائل الأعلام المرئية والمسموعة والمقروءة يختار ما يسمعه أو يشاهده، وهكذا تعمل ميكانيكية الاقتناع والياتها أي بتخزين المعلومة وتحليلها ثم الاقتناع بها والدفاع عنها وهنا تكمن خطورة الأعلام ومن هنا يبدأ التأثير الغربي الإعلامي في محاولة لتدجين الثقافة الإسلامية من خلال إمكانية تغييره للسلوك حيث أن الإعلام الغربي لا يمارس دورا توفيقيا حواريا بل لا يبشر بالتجانس بقدر بحثه عن تنميط ثقافي واحد يخدم ويروج لفكرته منتقصا من أفكار وثقافة الآخرين، إن الإعلام الغربي خاصة الأمريكي قد كشف عن روح عدائية تعصبية ضد العرب تهدف إلى تصغير بل إلغاء هذه الأمة إلغاء الدور والقدرة على المواجهة واثبات الحق في الوجود، ولا ننسى أن الأعلام يمارس دورا آخر عندما يعطي المشروعية التي تبين للآخرين

الوجه الايجابي للصراع الغربي ضد الثقافة الإسلامية ويحاول كذلك أن يظهر بعض السلوكيات والقيم والنماذج الإسلامية بمفهومه وبخصائص يختارها هو مظهرا صورة وهمية عن الثقافة الإسلامية بتدجين غربي.

إن اخطر التحديات ومحاولات التدجين بالنسبة لعنصر الإعلام الغربي هي حصر الثقافة الإسلامية العربية في الدين واللغة والوعي التاريخي بالآخرين دون التحدث عن المجالات الشاملة والواسعة لهذه الثقافة، وصورة العرب والمسلمين في الأعلام الغربي هي صور لا تعبر عن الواقع بالإضافة إلى أن الأعلام الغربي يتعامل مع العرب من منظور الاستعمار والتبعية.

٣. العولمة والغزو الثقافي

العولمة هي ظاهرة أفرزتها ثورة الاتصالات وتقانة المعلومات في ظل النظام العالمي الجديد، الذي أتاح للولايات المتحدة ودول الغرب السيطرة الكاملة والهيمنة على العالم، في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والتقنية والعسكرية. وقد اهتم المفكرون بهذه الظاهرة وما قد يترتب عليها من تداعيات ونتائج تؤثر على الناس في شتَّى مناحي الحياة، وبصفة خاصة، على هويتهم الثقافية، وثقافتهم القومية، وذاتيتهم الوطنية، ومعتقداتهم الدينية[1].

وعلى الرغم من أن عولمة الثقافة ظاهرة تاريخية متعددة الأبعاد ولها جذور قوية نتاج عمليات معقدة من التراكم التكنولوجي والثقافي إلا أنها تجابه العديد من المقومات في الوقت الراهن حيث يرى أن العولمة لها تهديدا للهوية الثقافية بل تهديدا لنمط الحياة نفسه في محاولة لتحويله إلى نمط حياة غربي.

(١) بحوث مركز دراسات الوحدة العربية ، العرب والعولمة ، الندوة الفكرية ،بيروت ،١٩٩٧،،ص٣٢.

وقد مرت الثقافة الإسلامية العربية في الفترات القريبة بالعديد من المتغيرات المتسارعة التي تحمل في طياتها ايدولوجية التنميط والاختراق الثقافي، وهي تتجلى في صياغة ثقافة عالمية مدجنة لها قيم ومعايير وسلوك وعادات وسيطرة ثقافية غربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلم والتقدم التكنولوجي في مجال ثورة الاتصالات وثورة المعلومات الأمر الذي يؤدي إلى نشوء قيم ثقافية وأنماط سلوكية ليس هناك من رابط يربطها بنظامها الاقتصادي أو الاجتماعي وحتى الموروث الحضاري [١]، وهو ما يؤدي إلى حدوث تشويش للهوية الثقافية، والى فقدان التوازن نظرا إلى أن هذه القيم الثقافية والأفكار ليست من نتاج التطور العلمي والاقتصادي والاجتماعي وأصبحت تتحول الثقافة بسبب سلبيات العولمة إلى سلعة ينطبق عليها ما ينطبق على سلعة مادية.

إن الدور الذي تعتمد عليه العولمة للهيمنة على الثقافة العربية والعقل يمكن اعتباره تطبيقا عصريا للمنهج والوسائل التي اعتمدتها الدول الغربية عندما جعلت الثقافة وسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية وترسيخها وكانت البعثات التبشيرية والرحلات الاستكشافية هي من أهم الآليات الثقافية التي اعتمد عليها الدول الأوروبية للتعرف على الدول[٢].

والعولمة (GLOBALIZATION) هي السيطرة والهيمنة على العالم، وهي نفي للآخر، و قمع وإقصاء للخصوصية، وإذابة لكل خصائص المجتمعات، إلى درجة لا يكون فيها لأي مجتمع ثقافة ذاتية، أو هوية شخصية أو قومية. لقد بدأت العولمة بالجانب الاقتصادي، وعنت الاندماج الكامل لمختلف دول العالم

---

(١) رضوان السيد ، الصراع في الإسلام الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،٢٠٠٥،ص١٥١

(٢) المصدر نفسه ،ص١٥٤.

عبر نموذج يستعمل السوق والتجارة والمال والتقنية والغزو الإعلامي لفرض زعامة أصحابه وهيمنتهم[١].

إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة في المجال الثقافي، هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم. فقد أصبحت الموسيقى والبرامج التليفزيونية والمسلسلات والأفلام السينمائية الأمريكية، منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من السلع الاستهلاكية انتشرت على نطاق عالمي واسع. وفضلاً عن ذلك، صارت اللغة الإنجليزية لغة عالمية، بل وانتشرت اللهجة الأمريكية، على وجه الخصوص، انتشاراً واسعاً، ومن أسباب هذا النفوذ الثقافي الواسع، سيطرة الاقتصاد الأمريكي بوصفه سوقاً مستوردة ومصدرة، وهيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي[٢]، ولما للولايات المتحدة من تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية، وعلى الأخص في صناعتي السينما والموسيقى، ويبدو أن الولايات المتحدة تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، معرضة مقومات الهوية الثقافية للمجتمعات الأخرى إلى خطر الذوبان، وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد أن الثقافة الكونية المُعَوْلَمَة ليست إلا نتاجاً لثقافة مُهَيْمِنَةٍ هي ثقافة الغرب وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية وليست نتاجاً لتفاعل الثقافات الأخرى وتضافرها وتناظرها.

جهة أخرى، فإن الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية تتميز بنوع من الثنائية، التي طبعتها منذ ما يقرب من قرنين، نتيجة احتكاكها مع

---

(١) عبد الخالق عبد الله ، عولمة السياسية والعولمة السياسية ، مجلة المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت العدد ، ٢٧٨،ص٢٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥.

الثقافة الغربية، وهي ثنائية التقليدي والعصري التي كرست الازدواجية والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية، وليست العولمة وحدها هي المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى في عالمنا العربي، وليست هي التي تقود حركة التدجين الثقافي، وذلك لأن جميع تكنولوجيات الاتصال في بيوتنا مفتوحة على العديد من محطات الإذاعة والقنوات الفضائية العالمية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، وغيرها، ولم نعمل شيئاً في سبيل وقفها. وهذا يعني أن ما يسمى بالغزو الثقافي للعولمة لا يتضمن أي نوع من الاقتحام القسري بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا أو الاعتداء عليها، وليس بالضرورة أن كلَ ما يهجم على هويتنا العربية والإسلامية قادمٌ إلينا من الخارج، فإن الذين يتابعون منّا القنوات الفضائية الأجنبية، والشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، والمجلات والجرائد والكتب الأجنبية ، لا يزالون قلَّة. ولكن الوسائل التي اخترقت كياننا وثقافتنا ووصلت إلى أبنائنا وبناتنا، صغاراً وكباراً، في بيوتنا ومؤسساتنا، هي من صنع أنفسنا

بعض مظاهر التدجين من قبل العولمة الغربية على الثقافة الإسلامية:

١- ادعاء أفضلية الثقافة الغربية على الثقافة الإسلاميّة، وهذا الادعاء يحمل انتقاصًا مباشرًا للمعتقد والدين الذي تمثله هذه الثقافة الإسلاميّة ذات المصدر الرباني[١].

والسماح لهذا الادعاء بالانتشار له تأثير سلبي مباشر على المنتسبين للدين الإسلامي وعلى بقية المجتمعات التي تبحث عن الثقافة الأصلح فتجد التشويه المتعمد للثقافة الإسلامية وفي المقابل الادعاء المستمر بأفضلية النظام الأمريكي الثقافي والسياسي والاقتصادي وهو جوهر نظرية (فوكو ياما) المتعلقة بنهاية التاريخ؛ لأن نهاية عصر الأيدلوجيات عنده إنما يعني حلول الأيدلوجية الأمريكية

(١) محمد عمارة ، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية ، سلسلة التنوير الإسلامي ، دار النهضة ، مصر ، ٢٠٠٠،ص٤٤.

محل الأيدلوجيات الأخرى [١].

٢- إهمال الأساسيات الدينية ولا سيما في مجال العقائد تحت وطأة النمط الثقافي الغربي الذي لا يقيم وزناً لهذه القضايا، إن من أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الإسلامية الإيمان بالغيب، وبدون ذلك لا يصح وصف الإنسان بالإيمان، والغيب يشمل الوحي باعتباره مصدر المعرفة الصحيحة وأمور الآخرة من بعث وحشر وجنة ونار، والإيمان بالقضاء والقدر، ومفهوم التوكل على الله، وكل هذه القضايا لا مكان لها في عالم العولمة الثقافية وهو مصدر اختلاف كبير بين الثقافتين الإسلامية والغربية.

٣- تذويب الانتماء إلى الدين والمعتقد وإضعاف علاقة الفرد بأمته ومسخ شخصيته المستقلة؛ ليذوب في منظومة العولمة الثقافية

يعيش المسلمون اليوم في أكثر من ١٢٠ مجتمعًا بشريًّا وعدد الدول الإسلامية يبلغ ٥٤ دولة وعددهم يزيد عن ١٣٠٠ مليون أي ما يقارب ٢٣% من عدد سكان العالم [٢].

ولا شيء أخطر على الثقافة الغربية اليوم من شعور هؤلاء جميعًا بالانتماء الحقيقي إلى دينهم ومعتقدهم وثقافتهم.

ولهذا فقد عد هنتنجتنون اقتناع أصحاب الثقافة الإسلامية بتفوق ثقافتهم مشكلة الغرب الخطيرة ، وبالتالي فمعالجة هذه المشكلة يقتضي تذويب هذا الانتماء ومسخ الشخصية المستقلة التي تميز المسلم عن غيره وهذا ما يفسِّر الحملة الشرسة المركزة على مفهوم الولاء والبراء في الإسلام باعتباره الأساس في إحساس الفرد بهويته الثقافية المستقلة.

٤- الإكراه الثقافي والإرهاب الفكري الواقع على شعوب العالم بحيث لا يترك لها حرية الاختيار بين الدخول في العولمة الثقافية وبين التمسك بثقافتها الخاصة، وقد عبر توماس فريدمان عن ذلك بقوله: "العولمة أمر واقع وعلى

---

(١) جاك غودي ، الشرق في الغرب ، ترجمة محمد الخولي ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٨، ص٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٥٨.

اللاعبين العالميين إما الانسجام معه واستيعابه أو الإصرار علـى العـيش فـي الماضي وبالتالي خسارة كل شيء ولا بد من قبول الأمر الواقع)) ويقول وزير المالية الأمريكي الأسبق روبرت روين في رد ساخر على مهاتير محمد رئـيس وزراء ماليزيا السابق حينما انتقد شرور العولمة: "اعذرني محمد ولكن علـى أي كوكب أنت تعيش إنك تتكلم عن المشاركة في العولمة كأن ذلك يتـضمن خيـارًا متاحًا لك, العولمة ليست خيارًا وإنما حقيقة واقعة" وهذا الإكراه ظلـم صـارخ ينتهك حقوق المجتمعات في المحافظة على الثقافة المحلية وينذر بردّات فعل غير محسوبة قد تفوق كل توقع، وما صـيحات مناهـضي العولمـة واحتجاجـاتهم المستمرة والمواجهات الدموية مع كبار مسيري العولمة إلا إرهاصات أولية لمـا يحتمل حدوثه في المستقبل إذا استمر هذا الإكراه الثقافي على الـضعفاء الـذين يجري تخويفهم وإرهابهم على الصعيد الإعلامي والسياسي والاقتصادي وحتـى العسكري في كثير من الأحيان.

٥- تغييب القيم الأسرية والاجتماعية التي رسخها الإسلام: العلاقـة بـين الرجل والمرأة نظمها الإسلام بطريقة تكفل حقوق الطرفين، وترقى بعلاقتهما إلى أفق من الطهر والاحترام مع تلبية نداء الفطرة في كل منهما عبر الزواج الـذي كفل له الإسلام الاحترام والتقدير، ولكن العولمة الثقافية اليوم تسعى إلى تغييـب هذه القيم عبر إباحة العلاقات الجنسية للرجل والمرأة خارج مؤسـسة الـزواج، وعبر تخفيف قيود الإجهاض للحمل غير المرغوب فيه، وعبر غض الطرف عن العلاقات المثلية التي يمكن أن تكون من خلالها بعض الأسر في ظـل العولمـة الثقافية[١].

كما أن علاقات الأبناء بالآباء بما فيها من البر والإحسان, وصـلة الأرحـام، والإحسان إلى الجار، والتكافل الاجتماعي كلها قيم غائبة عن مسيرة العولمة الثقافيـة المعاصرة.

٦- الانحراف الأخلاقي ولا سيما في قضايا الشهوات الجنسية والنظر إلى المرأة باعتبارها جسدًا مهمته إضفاء المتعة على الآخرين، ووسيلة تسويق وجذب

(١) محمد عمارة ، مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مصدر سابق ،ص٥١.

في الدعايات وعبر الصحافة والبرامج الإغرائية على الشاشة وتكليفها بما قد لا يناسبها من الأعمال الشاقة، أو الأعمال التي تعرضها للامتهان والابتزاز الجنسي نتيجة كثرة الاختلاط غير المحتشم بالرجال المشرفين على عملها.

٧- إفساد الأنماط السلوكية السائدة لدى الشعوب ولا سيما الشعوب المسلمة في اللباس والأزياء الخاصة بالرجال أو النساء والتقليعات الغربية الخاصة بطريقة قص الشعر وتغيير الخلقة وأنواع المأكولات الغربية وطريقة تناولها بحيث يصعب اليوم تمييز الهوية الوطنية الخاصة بكل شعب في ظل هذه العولمة في ثقافة اللباس على النمط الغربي حتى لو كان المرء يسير في شوارع بومباي، أو بيونس آيرس، أو بيروت، أو نيويورك.

المبحث الخامس :

أولاً: نظرة تحليلية للتأثير المتبادل بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية

حين ننظر في التأثير المتبادل بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية نلاحظ انه يتم ضمن ظاهرة التفاعل الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية وحضارة العالم الاخر ، ان مسالة تنمية الهوية الذاتية الثقافية يكمله هدف اخر هو تحقيق التبادل والتفاعل الثقافي مع الشعوب الاخرى وقد نادى كثير من علماء الانثربولوجيا والاجتماع الى التواصل الايجابي بين الثقافات مع الحفاظ على المنهج والواقع الحقيقي لكل ثقافة دون تغريب او تدجين ، ان الهوية الذاتية الثقافية الخاصة بكل امة لا يمكن ان تبنى وتتضح معالمها الا عن طريق التعرف على الثقافات الاخرى والتفاعل معها فالذات تتاكد من خلال الغير والحوار مع الاخر يصحح الشعور بالذات ويوثقه ويطمئنه .

يضاف الى ذلك الحديث أن كل ثقافة ليست مدعوة فحسب إلى أن تؤكد هويتها الذاتية الخاصة بل هي مدعوة الى الاسهام في بناء ثقافة عالمية مشتركة ، والثقافة العربية الاسلامية عبرت دوما عن هذا اللقاء والتفاعل بين الثقافات بل هي في الواقع حصاد اللقاء بين منطلقاتها الذاتية وبين عطاء الثقافات الاخرى .

إن من السنن الإلهية التفاعل التبليغي وعدم جواز السكون وهذه السنة تدعونا إلى الخطاب الفكري والثقافي الذي فرض حوار واقعيا عالميا أساسه التواصل والتبادل والتفاعل والاعتماد المشترك بين الأمم والشعوب والجماعات ، وهذا يدفعنا في سبيل فهم الآخرين إلى قراءة تاريخهم وواقعهم وحقائقهم وإمكانياتهم ثم السعي للتدريب والتأهيل والتفاعل قهم المتبادل والحقيقي لطبيعة كثير من الموضوعات المطروحة وعلاقاتها مع هذا العصر ، ومحاولة الالتقاء حول نقاط مشتركة في الحقوق والواجبات والعمل على التقريب بينها وتوسيعها للحيلولة دون أن تشكل عقبة في سبيل التفاهم والتفاعل الاستراتيجي المشترك قاصدين من ذلك تغيير كثير من الأفكار والمفاهيم الثقافية والحضارية الراسخة لدى الغرب عن الإسلام ورسالته وتكيفه مع الواقع المعاصر وتكيف الآخرين معه وهي محاولة أيضا لمحو الكثير من الإشكاليات والتناقضات التاريخية بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية .

ثانيا : التوصيات والمقترحات:

١.تحصين الذات وتعميق الهوية وتقوية الانتماء وحفز الهمة للعمل بما يرضي الله ويجلب النفع ويحقق المصلحة للمجتمع الإسلامي .

٢.مواجهة الأخطار الفكرية والثقافية التي تهدد المسلمين أيا كانت مصادرها واتجاهاتها وبالغا ما بلغ حجمها وأثرها والتصدي لها بالعلم والوعي وبالإرادة القوية وبالعمل المشترك وذلك حفاظا على المصالح العليا للأمة الإسلامية وصونا للاستقلال الثقافي والأمن الفكري لبلدان العالم الإسلامي .

٣.أن يربى في الأمة وفي الإنسانية معاني الاختلاف الهادئ أو التدافع الإنساني العاقل .

٤.تنقية الثقافة العربية الإسلامية من بعض ما علق بها من صنوف التعصب والمذهبية والاختلاف.

٥. الاستمرار في قراءة الآخر قراءة موضوعية بحيث نصل إلى المشترك الإنساني المفيد ونتعارف على نقاط الاختلاف ونتجاوز عن مظاهر الشقاق والتناقض .

Western Attempts to Adapt The Islamic Culture

Lect. Qusai Riyadh Kanaan

Abstract

The present Work tackles the impact of Orientalism on the Islamic Culture and its reflection on society . it adopts certain mechanism for evaluation and mechanism. The Work also explains the styles followed by the Orientalists to leave their impact on the Islamic Culture